خصائص المذهب الإسماعيلي

١. الوصية والنص

الوصيه لغة: ـ مأخوذه من وصية الشيء أذا وصلته، سميت بذلك لانها وصل لما كان في الحياة بعد الموت.

اما في الإصطلاح :ـ فهناك عدة تعاريف للفقهاء والعلماء، فقال بعض العلماء الوصية هي تمليك مضاف الى ما بعد الموت، والبعض الاخر قال هي هبة الأنسان لغيره عينا او دينا او منفعة على ان يملك الموصى له الهبه بعد الموت.

إن الشيعة هم اصحاب النص والوصية أذ بايعوا الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) على وجه الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصيةً واعتقدوا ان الإمامة لا تخرج من أولاده، ويجمعون على وجوب النص والتعيين واكدوا ان الإمامة مصلحه تعطى باختيار العامة وينصب الإمام من قبلهم وانها ركن من اركان الدين.

ويتفق الإمامية مع الإسماعيلية في النص والوصية، أذ إن الإسماعيليون يجتمعون على كلام واحد وهو إن النص لا يرجع القهقري وليس ادل على ذلك ما اورده الإسماعيليون عن حديث الإمام الصادق " أن الإمامة لا تمشي الى الوراء ولا تعود القهقري، فلم ترجع عن إسماعيل بن جعفر بعد ان صارت إليه و وقع النص عليه، بل جرت في عقبه وثبتت في الإمام محمد بن إسماعيل"، وهو دليلهم على إمامه إسماعيل دون إمامة موسى الكاظم (عليه السلام)، والوصية والنص عند الإسماعيلية نص صريح يوصي للإمام من الإمام الذي قبله يوصي بالإمامة الى من يخلفه ويكون في اعقابه كما كان مع علي ابن ابي طالب من الرسول الناطق وإسماعيل وإبنه محمد وذلك في حياته، ولكن هذه القاعدة لم تتبع عمليا في مرحلة الظهور فقد

نقل المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١ – ٣٦٥ هـ / ٩٥٢ – ٩٧٥ م) الإمامة الى العزيز بالله الفاطمي (٣٦٥ – ٣٨٦هـ/ ٩٧٥–٩٩٦م) بعد ان مات اخيه عبد الله كما استأمن المهدي على سر ولي العهد القائم الفاطمي (٣٢٢–٣٣٤ هـ / ٩٣٤– ٩٤٥ م) لجوذر.

ويذهب الإسماعيلية الى القول بأن عبد الله وغيره من الأئمة الإسماعيليين قد عين كل منهم بالنص والوصية من الإمام السابق وسواء كان عبيد الله الإبن الفعلي للأمام الحسين ام الإبن الروحي له فقد عين بنص من الإمام الحقيقي وهو الامام (ع) الحسين، ويرى الطوسي ان الإمامة تنتقل من الأب الى الإبن عن طريق الميلاد الطبيعي فيكون ذلك بمثابة نص من الإبن بتعيين إبنه، وتعتقد الإسماعيلية ان الإمام يستطيع ان يعرف اي من أبنائه قد ناله النص، اي انتقلت إليه الإمامة.

٢. نظرية الاستقرار والأستيداع

وهي عقيده اختص بها الإسماعيلية ويعنون بها الإمامة نوعان :

إمامه مستقرة، وإمامه مستودعه فحينما يتولى الإمامة شخص من آل البيت حسب سلسلتهم للائمه يكون مستقرا وهو الذي له الحق في نقل الإمامة الى من بعده، أما حينما يتولاها الحجه او احد الدعاة المقربين من الإمام فأنه يكون اما مستودعا لتعتبر الإمامة عنده وديعه لا يحق له نقلها الى احد ابدا، بل يسلمها الى صاحبها الاصلي عند زوال اسباب الإستيداع، فالإمام المستودع هو ذلك الشخص الذي يتولى الإمامة مؤقتاً كأن يكون الإمام المستقر صغيراً لا يستطيع القيام بمهام الإمامة او ان يكون مستورا لا يظهر إلا المقربين إليه إلا في بعض الظروف الإستثنائية. ومن الأمثلة على هذه النظرية في العقيدة الإسماعيلية في حالة محمد ابن الحنفية (ت : ٨١ هـ / ٦٣٩ م) اذ إستودع الإمامة بعد مقتل الحسين ومن ثم سلمها الى علي

بن الحسين الملقب زين العابدين فتسلسلت الإمامة في ابنائه حتى إسماعيل بن جعفر الصادق الذي استودعها اخاه موسى ليسلمها الى ابنه محمد بن اسماعيل.

ومرت فتره عند الإسماعيلية تسمى دور الستر تغطيةً لإمامة الإسماعيليين الذين يقولون عنهم أئمه مستودعين، فكان هذا هدفاً واضحاً من اهداف هذه النظرية التي يسمونها بالإمامة المستقرة والإمامة المستودعة ستراً لباطنية نسبهم وانقطاعه، أذ قالوا عن المهدي اول أئمه الظهور انه مستودع للإمامة وانه سلم الوديعة الى مستقرها وسلمها الى محمد بن علي القائم بأمر الله وجرت الإمامة في عقبه حتى انتهت الإمامة الى مستقرها ومعدنها وموضعها وموطنها.

وقد شرح القاضي النعمان الإمامة المستقرة والإمامة المستودعة على انها مرحله لابد منها في كل دور من ادوار التاريخ الكوني للإسماعيلية.

والإسماعيليون استخدموا نظرية الاستقرار والاستيداع الإمامي لمقاومة الإثنا عشريه وإبطال حقهم في الإمامة من جهة وجذبهم الى المذهب الإسماعيلي من جهة اخرى لأنهم اقروا للاثني عشريه بإمامة موسى الكاظم ولكنهم في الوقت نفسه نفوها عن ابنائه.

٣. التأويل والفلسفة

أحد الاصول الإسماعيلية ولذلك لقبوا لأجله بالباطنية لقولهم بالظاهر والباطن وقد خص الإسماعيليين أئمتهم بالتأويل فجعلوا محمد (صلى الله عليه وسلم) صاحب التنزيل (القرآن) وعلي (عليه السلام) صاحب التأويل وان القرآن نزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) لفظه، ومعناه الظاهر للناس، اما اسرار تأويله الباطني فقد خص به علي(عليه السلام)، والإئمه من بعده.

فنظرية التأويل الباطني عند الغزالي " أن سبب تلقبهم بالباطنية لانهم يدعون الى ظواهر القرآن والاخبار بواطن تجري مجرى اللب من القشرة، وأنه يصورها توهم عند الجهال والاغنياء،

صوره جليه وهي عند العقلاء والاذكياء، صور وإشارات الى حقائق معينه، وأن من تقاعد عقله عن الغوص عن الخفايا والاسرار والبواطن والاغوار وفتح ظواهرها مسارع الى الاعتذار كانت تحت الاواصر والانحلال معنى الاوزار والاثقال ".

ويتفق ابن الجوزي مع الغزالي فيما قاله عن سبب التسميه.

أما الشهرستاني فذكر : " أن سبب التسميه بالباطنية بأن لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل ".

ويذهب ابن خلدون بعيدا عن ما قاله غيره من المؤرخين في ان سبب تسميتهم بالباطنية قائلاً " ان تسميتهم بذلك لقولهم بإمامة اسماعيل بن جعفر الصادق وانه الإمام الباطن المستور".

من هذه النصوص يتضح لنا أهمية التأويل الباطني والظاهري للعقيدة الإسماعيلية في معرفة الآيات القرآنية، لقد تأثر الإسماعيلية بالفلسفة اليونانية والفكر اليوناني لاسيما الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، وذكر الشهرستاني مشيرا الى تأثر الإسماعيلية بالفلسفة " ان الإسماعيلية الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة ووضعوا كتبهم على هذا المنهاج فقالوا في الباري تعالى : انا لا نقول موجود و لا لا موجود، و لا عالم و لا جاهل، و لا قادر و لا قادر، ولا عاجز وكذلك في جميع الصفات ".

وتحدث ابراهيم مدكور عن ذلك بقوله :" لاشك في ان الإسماعيلية من اكثر الشيعة درسا وبحثا، شاءوا أن يفلسفوا تعاليمهم ففلسفوا معها العقيدة الإسلامية كلها وادخلوا عليها كل ما وقفوا عليه من افكار اجنبيه، بين شرقيه وغربيه، وخاصه الأفلاطونية المحدثة.

واذ ما عدنا قليلا لنتحدث عن سبب تأثر هذه الطائفة بالفلسفة؟

فيرى بعض المؤرخين انهم يلجؤون الى الفلسفة لمحاولتهم تفسير التعاليم الدينية، وبعض الأراء تقول انهم دعموا معتقداتهم الدينية بنظريات فلسفيه وتأويلات باطنيه وأصبحت الفلسفة بنظرهم وسيله لتقييم العقيدة.

لقد كان نشر المذهب الإسماعيلي بطبيعته التأويلية في بلاد المغرب امرا مستحيلا لان هذه البيئة ليست مثل بيئة المشرق التي كانت تعج بالأفكار الفلسفية، لذلك احتاج التنظيم الى ان يصنع لنفسه بيئة مناسبه، فاعتمد التأويل الإسماعيلي على قبيله كتامه لبث افكاره، وهنا يتبادر الى اذهاننا تساؤل على ماذا اعتمد التأويل الإسماعيلي لبث افكاره ؟

يتبين لنا مما تقدم ان التنظيم الإسماعيلي اعتمد أولا على كتامه وعلى طبيعة المجتمع القبلية المعتمدة على العصبية وما تملكه القبائل من سلاح وخيل.

فأعتمد بالخصوص على قبيلة كتامه لان نشر الفكر المذهبي التأويلي الفلسفي يحتاج الى استعداد ذهني وهذا ما وجده التنظيم في كتامه، كذلك كان التنظيم يريد منطقه صالحه للعمل العسكري بعد الحصول على النصرة السياسية اكثر مما سعى الى الحصول على مرتكز فكري لتطوير المذهب لان الفكر قد تمت صياغته وحددت افكاره واهدافه ووضعت اسسه وبرامجه في المشرق ايام الإئمه الاوائل.

اصبح التأويل الفلسفي الإسماعيلي صفه ملازمه ليس فقط للدعاة وانما لازم حتى الخلفاء الفاطميين فيما بعد والدليل على شيوع التأويل عند الخلفاء الفاطميين يتجلى لنا ذلك من خلال رد المعز على احد الكتاميين في مجلس من مجالسه قائلا له : كل الناس يدعون للعقل، حتى

المجانين وهم مختلفون في المذاهب، وحجة كل واحد عقله، ومع ذلك لا يعد مخالف له، والعاقل في نظره هو المطيع لله والاخذ عن اوليائه، والجاهل هو العادل عن ذلك.

٤. تطور فكرة الامام المهدي عند الاسماعيليه

إن فكرة المهدي المنتظر ترسخت ضمن عقائد الإسماعيلية بفعل عدة عوامل من اهمها ذلك التحدي العجيب الذي واجه فيه الإسماعيليون الضربات الموجعة والمتتالية التي تلقوها من قبل الخلافة العباسية فلم تقضي على طموحاتهم، بل زادهم إصرارا على المضي الى الأمام لتحقيق احلامهم والوصول الى اهدافهم وهو الشيء الذي اضطرهم الى الستر لكن واجهتهم اشكالية وجود الإمام و استمرار الإمامة لدى العامة من الناس و ابقاء حبل الوصال بينهم و بين الناس لاسيما الذين استجابوا لهم، فأوجدوا فكرة المهدي المنتظر او بالأحرى تبنوا فكرة المهدي أذ يرون انه لا لزوم لظهور الإمام ولكن يجب طاعته ولابد انه سيظهر لذلك اطلقوا عليه اسم المهدي المنتظر الذي سيهدي الناس الى الطريق المستقيم.

لذلك كان الامام هو محور المذهب الإسماعيلي ومحور عقيدتهم فالطائفة الإسماعيلية اختلفوا في تسمية الإمام، وقسم قال: ان إسماعيل ابن الإمام الصادق هو المهدي.

وقسم قال ان محمد بن إسماعيل هو المهدي وانه لم يمت وانه في بلاد الروم، وهؤلاء هم القرامطة وهم فرقه من الإسماعيلية المباركية. والإمامة عندهم لا تنتهي بالسبعية بل كل دور ينتهي بالسبعة فمحمد بن إسماعيل عندهم متمم الدور بعد رسالة نبينا محمد (صلى الله عليه واله وسلم) دور صغير والمعز متمم الدور الثاني دور صغير أيضا وهكذا، كل سبعة أئمه عندهم يسمى دورا وهم يعتقدون ان الإمامة مستمرة في ولد إسماعيل الى اخر الزمان.

وذكر القاضي النعمان المهدي و أورد صفاته، اذ قال " انه يخرج في ارض المغرب مع جمله من البربر " واشار في ذلك الى قبيلة كتامه المغربية وبذلك نقل النعمان عقيدة المهدي من عالم الأفكار الى عالم الواقع، وبمعنى اخر من المجال النظري الى المجال العملي واوضح انه لا يوجد في الارض مهدي واحد وانما لكل عصر مهدي وعلى الناس الدعوة له والاعتقاد به.

وعلى هذا الأساس في عام (٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) وبعد فترة قصيرة من أستلام عبيد الله المهدي الخليفة الفاطمي الاول الذي اسس اول دولة إسماعيليه فاطمية في المهدية بأفريقية غير بعض التوجهات العقائدية المرسلة لأتباعه، فبدلا من التمسك بمهدوية محمد بن إسماعيل التي قامت الدعوة باسمه ونيابة عنه، فإن القائد الجديد نادى بالإمامة والمهدوية لنفسه، وكذلك الإمامة لأسلافه الذين قادوا الإسماعيليين بعد محمد بن إسماعيل.

أما الشيعة الإمامية فينطلقون في نظرتهم الى المهدوية من معتقد الإمامة فهي الإمامة الباقية وهذا يعني ضرورة الإمامة وضرورة وجود الإمام في كل زمان، وطبيعة عمل الإمام في الامه ضمن السنن الإلهية، اذ نادت الإمامية بوجوب اثنا عشر إمام لا يزيد ولا ينقص ويعتقد الإمامية بالغيبة والرجعة اذ يؤمنون ان هناك المهدي المنتظر الذي يعود ويملأ الارض قسطا وعدلا، بعدما ملئت ظلما وجورا، وهي ثابته عندهم اذ بعد انتشار الظلم والجور يظهر من يطهر الارض من رجس الظلم.

رابعا : الستر والظهور في الفكر الإسماعيلي

١. دور الستر

يرى أنصار الإسماعيلية أن مسألة الإمامة وليدة الحاجه كلما ضاقت بهم السبل في دعواهم اتخذوا عقيده تلم شملهم وتجمع شتاتهم وتضمن البقاء والاستمرار لمذهبهم فقالوا بنظرية الستر والظهور، ويرى ابن خلدون أَن الإمامة انتقلت من إسماعيل الى إبنه محمد المكتوم وهو أول الإئمه المستورين، كون الإمامة عندهم قد لا تكون له شوكه فيستتر ويكون دعاته ظاهرين اقامة للحجه على الخلق واذا كانت له شوكه ظهر واظهر دعوته.

كما قالوا ان بعد جعفر الصادق إبنه إسماعيل وبعده إبنه محمد وهو اخر المستورين وبعده إبنه عبد الله المهدي الذي أظهر دعوته في المغرب. وإن المهدي هو أول من أظهر العدل بعد الجور، وذلك ايام سلطان الإئمه من ذريته الذي طال فيهم الجور من بني أميه وبني العباس وظهر الجور بعد استتار الإئمه (عليهم السلام) وسيظهر العدل، لأن تعقب الستر والظهور كتعاقب الظلمة والنور وان الظلمة قد عمت والبلاء قد اشتد على اولياء الله وسيعقب الظلمة النور ويكون بعد الستر النور ويظهر اولياء الله بعد غيبتهم ويخرجون من كهف سترهم وتقيتهم.

قامت مبادئ الدعوى الإسماعيلية على الستر والمبالغة في التمويه والأعتماد على حجه يعهد اليه بأمر الدعوة وتنظيمها ونشر الدعاة في سائر الارض وقد أكد الإمام على الحجج وأمرهم أن يتسموا باسم الإمام " فمن أخذ العهد علي فيستحب سمي له أحد أولئك الحجج حتى يمضي الوهم اليه سترا على صاحب الأمر".

ومدلول هذا النص هو الحفاظ على صاحب الدعوة وعدم البوح باسمه خشية من بطش العباسيين واعتماد على مبدأ التقيه في ذلك، وكان الدعاة في البلاد المختلفة يختلفون

في ذكر الإمام حتى لا ينكشف أمره ويقع في قبضة العباسيين. وكانت سلميه هي المركز الرئيس للدعوة السرية الإسماعيلية، ومنها يرسل الدعاة باسم الإمام الذي كانوا يحرصون على إخفاء اسمه.

ومن شدة التقيه والتستر التي مر بها الإسماعيلية وصفهم المقدسي قائلاً " ولهم فيه سراً لا يعلمونه ولا يأخذونه على كل أحد إلا من وثقوا به بعد ان يحلفونه ويعاهدونه".

لقد عدت سلمية المقر الرئيسي للدعوة لمدة طويله حتى سنة (٢٨٩هـ / ٩٠١م) ، وقد كان عبد الله بن محمد هو أول من كان من الإئمه في سلمية وكان نزوله في سلمية لما قتل العباسيون في عصر الخليفة المأمون (١٧٠ –٢١٨هـ/ ٧٨٦ – ٨٣٣م) أهله، فهرب هو وأبنه الى سلمية وكان سبب اختياره سلمية بسبب الموقع الجغرافي على مفترق طرق التجارة العالمية، وكذلك لأضطراب الاوضاع العامة فيها وعندما نزل أنسب الى بني العباس وكان يحظى باحترام وتقدير كبير لورعه وتقواه.

بعدها أصبحت سلمية دار هجره في عصر الخليفة المأمون، فكان يخرج منها الدعاة لنشر دعوتهم في البلاد الاسلامية ، وظلت على هذا الحال أيام الإمام المستور الحسين بن أحمد بن عبد الله الذي أستطاع أن يقيم في سلمية أمنا مطمئنا دون أن تناله يد العباسيين، والواقع ان كرم الإمام الحسين، وبذله الاموال الكثيرة وتفانيه في اظهار حبه للهاشميين، وتفاني أنصاره في طاعته كل ذلك ساعد في ذيوع الدعوة في سلمية.

والمتتبع للأحداث ونشاط الدعوة يجد أَن كثيراً من العوامل الداخلية و الخارجية ساعدت على نجاح الدعوة وأن تصل الى مستوى عالي من الدقة والتنظيم وتحقق الانتشار فيما بعد في اليمن والمغرب، ومن هذه العوامل الداخلية :

نجد أَن الإسماعيلية نهجوا نهجاً سبقوا فيه غيرهم من الفرق الشيعية الاخرى فكانوا يبالغون في التخفي في نشر دعوتهم ومبادئ مذهبهم على شكل خطوات تتدرج من المعلومات البسيطة حتى تصل الى المستحب الى مبادئ فلسفيه عميقه لا يفهمها إلا القليلون، وأصبح كثيراً منهم لا يعرفون شيئا عن أصحابهم الذين انتظموا في سلك المذهب **وخفى أمرهم على خصومهم العباسيين.**

فضلاً عن تحمس الناس لنظرية المهدي نتيجة لغلبة اليأس واستفحال المظالم، أما العوامل الخارجية، منها ضعف الخلافة العباسية وضعف الفرق الشيعية الاخرى.

ويرجع سبب انتقال الإئمه في دور الستر من مكان الى أخر هو أتخاذ دار هجره إذ اصبحت هذه عقيده عند الإسماعيليين إذ يأمرون دعاتهم بطلب دار هجره يلجؤون إليه.

كذلك اسلوب الدعاية الذي سهل لها ان تحكم سيطرتها على بعض مقدرات العالم وكان ذلك التحكم نابع عن تنظيم دقيق للدعوة.

كل هذه الظروف ساهمت في خلق المناخ المضطرب الذي أحسن الدعاة أستغلاله لصالح دعوتهم السرية بحيث أمسى عاملا مهما لنشر الدعوة الإسماعيلية.

وتحدث أحد دعاة الإسماعيلية عن فترة الستر بقوله " أن المصادر جميعها تتفق على محمد بن إسماعيل أستطاع ان يخرج سراً من المدينة ويتوغل في شرقي المملكة الاسلامية وأخذ يتنقل من مكان الى أخر حتى استقر في قرية من قرى الري ونسبت إليه هذه القرية فيما بعد إذ سميت بـ(محمد أباد) ".

ومن هذا النص نستطيع أن نفهم إن الإمام محمد بن إسماعيل أختار أن يرحل بعيداً ويؤسس دولة جديدة بعيدة عن الحجاز، إذ نرى انه لم ينشر الدعوة هناك بل انتشرت في مناطق اخرى على الرغم من ما كانت تتمتع به الحجاز من مكانة دينية ، و يرجع السبب في ذلك إنه اراد ان يكون بعيداً عن عيون الخليفة في الحجاز، فيستطيع بسهولة ان يبعث دعاته، وان فشله في الحجاز أَمام أتباع عمه الامام موسى الكاظم و الإمامية الذين لم يسمحوا لمحمد بن إسماعيل كثيراً، فضلاً عن إن الحجاز كانت مليئة بالفقهاء والعلماء في عصر العباسيين ، وكانوا يتبعون المذهب المالكي إذ إن دعوة محمد بن إسماعيل لم تجد الاذان الصاغية، لاسيما إن هذه الدعوة قد نهجت منهجاً باطنياً فضلاً عن إن الإمام اراد الذهاب الى منطقة مهدت له من قبل.

٢. تقسيم العالم الى كواكب

رتب الإسماعيلية لدعوتهم تنظيماً دقيقاً ومحكماً يكاد لا يوجد له مثيل ونظموا دعوتهم على نظام دورة الفلك وقالوا " أنما الائمه تدور احكامهم على سبعة ايام كأيام الاسبوع والسماوات السبع والكواكب السبع والنقباء تدور احكامهم على أثني عشر".

كان تقسيم الإسماعيلية العالم الى كواكب وتشبههم بذلك انما يعود الى تفكيرهم الفلسفي، إذ كان هذا الفكر فلسفي في تقسيم الدعاة ينظر الى ما وراء الحدث، فقد عملوا على تطعيم مذهبهم بالمسائل الفلسفية ومن هذه المسائل " رسائل اخوان الصفا".

و يعتقد الإسماعيليون بأن الإفلاك كواكب سيارة، فاعلة ومؤثره وكل فلك يمثل في العقيدة الإسماعيلية مرتبة من مراتب الدعوة، فالشمس تمثل اعلى مرتبة في الدعوة أذ تقابل مرتبة الإمام الناطق ودوره، ثم القمر الذي يمثل المرتبة الثانية، وهو المتسلم من صاحب المرتبة

الاولى، أما المشتري فهو يمثل داعي البلاغ المولي لإصلاح امور عالم الدين للمنظمين للدعوة، ثم الزهرة وهي تقابل داعي المختصر لعقد مجالس النساء وأخيرا المريخ الذي يمثل داعي السيف، وهو مفرق الجماعات واهل الخلاف.

وكما اسلفنا ان الإسماعيلية جعلوا الدعاية في صميم عقيدتهم وفلسفتهم التي تقوم على التأمل في نظم الكون والمخلوقات التي تحيط بالإنسان وتطبيق هذه النظم على الدين وفقاً لذلك النظام الفلكي الذي اعتقده الإسماعيليون، فإن السنه مقسمه الى إثني عشر شهراً، فإذا تقسيم العالم الى إثني عشر قسماً، فأطلقوا على كل قسم (جزيرة) فجعلوا الإمام عميد الدعوة على كل جزيرة من هذه الجزر داعياً، وقالوا ان الدعوة لا تستقيم الا بأثني عشر داعياً، يتولون إدارتها يقابلهم في علم الفلك الواحد إثنى عشر برجا ويقابلها في جسم الانسان إثنى عشر نقيباً، ووفقا للنظام الفلكي الذي اعتقده الإسماعيليون في تنظيم دعوتهم فان اليوم قسم الى اربع وعشرين ساعه ليلا ونهارا، لذلك جعل الإمام الإسماعيلي لكل داع اربع وعشرين داعيا.

نستشف من كل ما تقدم ان الإسماعيليين وبهذا العدد الضخم من الدعاة الذين بثوهم في بلاد العالم لم يكن الا لتحويل عدد من الناس الى المذهب الإسماعيلي واستطاعوا بهم ان يؤسسوا هذه الدولة الإسماعيلية وكذلك للقيام بحركات سياسيه من شانها ان تساعد المذهب في الانتشار.

٣. بداية الظهور

وأول عمل قام به الإمام الإسماعيلي الحسين بن احمد بن عبد الله هو إرسال الداعي إبن حوشب الى جهة اليمن يدعو فيها الى قرب ظهور الإمام المهدي من آل فاطمه، ومنها بدء النشاط المكثف للدعاة في الظهور بعد اختفاء الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري في سنة (٢٦٤هـ / ٨٧٧م).

عَد القاضي النعمان " اليمن اصل الدعوة واليها أرسل الداعي ومنها نفذ الى المغرب وعن صاحب دعوتها أخذ وتأدب"، فدعوة اليمن بعد السلمية هي اللبنة الأساسية لبناء الدعوة الإسماعيلية فهي التي مهدت لظهورها علانيه وإعلان قيام الدولة الفاطمية ، وقد نجح كل من بن حوشب و بن الفضل في نشر الدعوة الإسماعيلية هناك.

وقد كان بن حوشب في البداية أثنا عشري المذهب حتى لقاؤه مع إمام الزمان الذي لا يذكر القاضي النعمان اسمه مطلقاً، بينما ذكر المقريزي أنه والد الإمام عبد الله المهدي وهو الرابع من الإئمه المستورين، وتابع انه محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل بن جعفر الصادق.

وتحول من الاثنا عشريه الى الإسماعيلية لأنه لم يستطيع تقبل ما اورده اتباع هذا المذهب حول قصة غيبة الإمام الثاني عشر محمد المنتظر بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد الذي غاب واختفى سنة (٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م) وكانت هذه الغيبة سببا في تحول الكثيرين من اتباع الاثنا عشريه الى الإسماعيلية . نزل هذا الداعية في عدن لاعه عند قوم بني موسى.

أذ بدأوا يسألونه بعض الأسئلة فأجابهم أنه تاجر ولكنه كشف امره من قبلهم وقالوا له " إنك رسول المهدي وقد بلغنا خبرك ونحن بنو موسى ولعلك سمعت بنا فانبسط ولا تحشم فانا اخوتك وأظهر أمره وقوا عزيمتهم وقرب أمر المهدي اليهم وامرهم بالإكثار من الخيل والسلاح وأخبرهم ان هذا اوان المهدي وظهوره وهو يظهر من عندهم".

وهذا النص يدل دلالة واضحة عن صورة التخفي والتستر والتقية التي اتخذها الدعاة الإسماعيلية في الدعوة ، الذي ينم عن تحضير مسبق ومدروس للدعوة من قبل الدعاة انفسهم.

بعدها أصبح الطريق ممهد لأبن حوشب وأمر أتباعه ببناء دار هجره له ولأتباعه حتى يكون منطلق لدعوته إذ تم له بناء موضع أسمه عين محرم في جبل مسور.

تجمع حول ابن حوشب العديد من الانصار، والاتباع ، وذلك بسبب التعامل السلمي والاخلاقي ، والايجابي مع الداخلين الى الدعوة الجديدة إذ وجدوا فيه المخلص لهم من الوضع الذي كانوا يعيشونه في عهد الأغالبة، فضلاً عن ما كان يتمتع فيه أبن حوشب من الذكاء والورع والتقوى والحكمة والفطنة والصبر كل هذه الصفات جعلت منه محط أنظار الناس لاسيما الخصوصية التي كان يخاطبه به الإمام الإسماعيلي الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ويخصه أيضا بأرض اليمن قائلا له "يا ابا القاسم البيت يماني، والركن يماني، والدين يماني، والكعبة يمانيه ولن يقوم هذا الدين ويظهر أمره الا من قبل اليمن"، وخصه الإمام أيضاً بعدن لاعه فأوجب عليه النزول فيها قائلا له " الى عدن لاعه فأقصد وعليها فأعتمد ففيها يظهر أمرنا وفيها تعز دولتنا ومنها يفترق دعاتنا". وهذا النص دليل واضح على أهمية عدن لاعه بالنسبة للإمام.

وفي ضوء هذين النصين نستنتج خصوصية اليمن لاسيما عدن لاعه واهميتها بالنسبة للإئمه الفاطميين كذلك معرفة سبب توجهه الى عدن لاعه وسؤاله بني موسى عنها، فضلاً عن حصانة البلدة وتقبلها للمذهب العلوي فقد مالت إليه هذه المدينة ومن فيها، ومنها بدأ بن حوشب يفرق الدعاة الى اليمامة وعمان والبحرين والسند والهند ومصر والمغرب.

فضلاً عن أن أرض اليمن كان يكثر فيها المحبون والمريدون للصحابة منذ عهد الرسول (عليه الصلاة والسلام) وحظيت بأرسال الإمام علي (عليه السلام) اليها في عهد الرسول حيث زارها ثلاث مرات، وفي المرة الثالثة وصل الى عدن أبين، أذ ذكر ابن هشام انه بعث الى اهل نجران ليقدم عليهم الجزية، ومما لاشك فيه ان هذه الأتصالات الشخصية في اليمن قد تركت اثراً واضحاً في نفوس الناس وبقي هذا الحب يزداد حتى عهد الإمام الفاطمي المستور الحسين بن احمد.

اما داعية اليمن الاخر الذي كان يرافق أبن حوشب علي بن الفضل إذ خرج هذا الداعية في اليمن اذ كان هو كباقي الدعاة يدين بمذهب الاثنا عشريه وتحول بعدها الى الإسماعيلية عند زيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام) اذ رآه الإمام المستور الحسين بن احمد حينذاك اذ أظهر الندامة والبكاء عند القبر مما جذب أنضار الإمام إليه. وكان علي بن الفضل من بيت علم وتشيع ونعمه ويسار وكان رجلاً شجاعاً ذكياً.

وعندما وصل علي بن الفضل الى الإمام الحسين بن أحمد وأخبره عن أمور بلاده ومدى جاهزيته الى نشر الدعوة بعد ان سأله الإمام عن مدى جاهزية المجتمع لتقبل الدعوة وهل من الممكن قيامها هناك، وكان جواب علي بن الفضل " والله ان الفرصة ممكنه في اليمن وان الذي

تدعو اليه جائز هنالك وناموسنا يمشي عليهم وذلك لما عرف عنهم من ضعف الاحلام وتشتت الرأي وقلة المعرفة بأحكام الشريعة المحمدية".

نستنتج من هذا النص الاضطراب السياسي وكثرة النزاعات التي كانت تعيشها اليمن والتفكك الكبير بين الولايات الذي ساعد الى حد كبير في قيام الدولة الفاطمية والدعوة الإسماعيلية وانتشارها في اليمن ويدل أيضاً على خبرة هذا الداعية بأرض اليمن وما فيها وعقائدهم وتنظيمهم.

وسار بن الفضل مع صاحبه بن حوشب بعد انقضاء موسم الحج الذي استغلاه هذين الداعين في كسب الانصار عن طريق الدعاية الى الدعوة الإسماعيلية، أذ نزل بن حوشب في عدن لاعه، وسار بن الفضل الى بلاد يافع بعدها أتجه الى جيشان إذ وجد المكان هناك ملائماً لأقامته الدعوى فاخذ بالتعبد والتنسك والعبادة ، وكانت عبادته في بادئ الامر في بطون الأودية وكانوا يأتونه بالطعام فلا يأكل شيء وان أكل يأكل شيئاً بسيطاً.

كان بن الفضل يعيش معتزلا في جبل بعيداً عن عامة الناس بعدها طلب منه الناس بأن ينزل من الجبل ويعيش معهم فقال : " لا أفعل هذا ولن اسكن بين قوم جهال، ظلال الى ان يعطوني العهود والمواثيق ان لا يشربوا الخمر ففعلوا ذلك".

ومن هذا النص يتبين لنا القوه والحنكة ووسيلة الاقناع التي كان يتمتع بها هذا الداعية والورع والدين إذ فضل حياة الزهد على حياة الفساد الذي كان يعيشه المجتمع اذ كان قد اعتاد هذا المجتمع على الممارسات الخاطئة لذلك امرهم بإصلاح أنفسهم لاستقبال الدعوة الجديدة.